



بسم الله الرحمن الرحيم لا يحمد في مثل هذا الموقف إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم بشاراً وحزبه، والصلوة والسلام على قائدنا وقدوتنا وأسوتنا وحبيبنا ونبينا ملهمنا وأرفعنا ومرشدنا إلى الأبد سيدنا محمد وعلى أله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين..

"إذا أردت أن تعرف مقامك من الله، فانظر أين أقامك وانظر فيم أشغلك ؟!" .. تلفت حولك وارجع بذاكرتك لما قبل هذه الثورة .. أين كنت ؟ وفيه كنت مشغولاً؟ كيف كنت تقضي يومك وليلتك ؟ كيف كانت عقيدتك .كيف كانت ثقتك بربك ؟ بل كيف كنت ترفل في قيود الذل والكفر والخوف والحياة البائسة !

وانظر اليوم أين وضعك الله وفيه أشغلك الله وكيف أعزك الله ورفعك ؟

- مجاهد كل ساعة من ساعات رباطك خير من الدنيا وما عليها ! روى البخاري عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها..!!

- مجاهد وكل خطوة .. كل عمل .. كل نفس من أنفاسك عبادة ورباط في سبيل الله ... !! واقرأ إن شئت قوله تعالى { مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْجِعُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَاءً وَلَا نَصَابَ وَلَا مَخْمَصَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْلُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيَّلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } - سورة التوبة الآية 120 - .

- يوقع التجار عقوداً فيما بينهم ويتفاخرون ويتباهون إن وقعوا عقداً مع شركة كبيرة أو تاجر معروف؟! أما أنت فأنت توقع

عقداً مع من؟ أنت أبها الإنسان الضعيف الفقير المذنب توقع عقداً مع رب الأرباب وملك الملوك .. مع الله سبحانه وتعالى " إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعِهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبِشُرُوا بِيَعِيشُكُمُ الَّذِي بَأَيَّعْثُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ " - سورة التوبه الآية 111 - وحين تربح التجارة أو تخسر وحين ينجح البيع أو يخيب فإن عدك وتجارتك رابحة رابحة " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِذْ أَكُلُّمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُتْجِيَّكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ \* تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ \* وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَيَسِّرِ الْمُؤْمِنِينَ " - سورة الصافات الآيات 10-13

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مثل المجاهد في سبيل الله - والله أعلم بمن يجاهد في سبيله - كمثل الصائم القائم، وتكلف الله للمجاهد في سبيله إن تفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالماً مع أجر أو غنيمة)) - وحين يخاف الناس نار جهنم وعذابها تأتك البشرى أياها المجاهد من حبيبك محمد صلى الله عليه وسلم لطمئن و تستبشر فعن أبي عباس بن جابر الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما أغربت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار)) رواه البخاري في صحيحه. و " عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله " - رواه النسائي وحسنه - فهنيئاً لك بعقد لم يحده إلا الصفوة والنخبة!! عقد فاز به من قبلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته وأتباعه وجند الله وأولياؤه المقربون وأنت تنضم بإختيار الله واصطفائه لهذه الكوكبة العظيمة من البشر - فأولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ! - سورة النساء الآية 69 .

- هل تأملت في قوله سبحانه وتعالى **وَلَلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** - سورة الفتح - الآية 7 - قوله سبحانه وتعالى **{وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ \* إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ \* وَإِنْ جُنَاحَنَا لَهُمُ الْغَلِبُونَ}** - سورة الصافات الآيات 171-172 - قال ابن حجر: " قوله: {وَإِنْ جُنَاحَنَا لَهُمُ الْغَلِبُونَ} أي " إن حزبنا وأهل ولايتنا لهم الغالبون " - جامع البيان 114/23. وعندما أسلم أبو سفيان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس ((يا عباس، حبسه بمضيق الودي عند خطم الجبل، حتى تمر به جنود الله فيراها)). قال العباس: فخرجت به حتى حبسه حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحبسه. قال: ومررت به القبائل على راياتها، كلما مررت قبيلة قال: من هؤلاء؟ الحديث .... أخرجه ابن اسحاق في السيرة (4/17)، والطبراني في الكبير (10/8) واللفظ له، والطبراني في تاريخه (3/114) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (3341)، وأصل القصة في البخاري كتاب المغازي (4280) ...

والأن تأمل أياها المؤمن: من أصل مليار ونصف مليار مسلم.. ألف وخمسمائة مليون مسلم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم كم هو عدد من اصطفاه الله واجتباه واختاره ليكون جندياً من جنوده؟! وانظر في أي نعمة عظيمة أنت؟ وانظر إلى عطاء الله وفضله عليك إذ اخبارك من بين الملايين لتكون في نصرة دينه وملته وأمته بل وفي خيرة أجناد أرض الذين توكل الله سبحانه وتعالى بهم لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم؟! فعن عبد الله بن حمزة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنوداً مجنة، جند بالشام، وجناد باليمن، وجناد بالعراق)). قال ابن حمزة: خر لي - يا رسول الله - إن أدركت ذلك؟ فقال: ((عليك بالشام؛ فإنها خيرة الله من أرضه، يجتبى إليها خيرته من عباده، فاما إن أبيتم فعليكم بيمكنكم، واسقوا من غدركم، فإن الله توكل لي بالشام وأهله)) أخرجه أحمد (4/110)، وأبو داود في الجهاد، باب: في سكنى الشام (2483)، والطبراني في مسند الشاميين (1172)، وصححه الضياء المقدسي في المختارة (9/272)، وابن القيم في إعلام الموقعين (4/408)، والألباني في فضائل الشام.

الآن وقد فزت بهذا العقد وبعث واشتريت وأصبحت من الفئة الموكل إليها مناجزة الباطل وإزهاقه ومناصرة الحق وإحقاقه فإن لهذا العقد شروطاً وشروطها والالتزامات تترتب عليه... لقد بدأت مرحلة جديدة في تاريخنا بنصر بدر وبدأت الأحكام تننزل .. أحكام الشهداء والنفير والتولي يوم الزحف وأحكام الأسرى والغنائم والمعاهدات .. لكننا سنتوقف اليوم عند محطة واحدة هامة من محطات ما يتربى على هذا العقد الكريم.

سورة كاملة في القرآن الكريم ، خمس وسبعين آية تسمى بـ "الأنفال" تفصل أحكامها وتثبت أركانها لكنها في ذات الوقت تشير لما قد لا ننتبه له فيها ، هذه السورة الكريمة تنزل بعد غزوة بدر والانتصار الأول لجيش المسلمين لمعالجة وتنظيم ما يتربى على هذا الانتصار وفي مقدمته "الغنائم والأنفال" ! وإذا كان يتبارى إلى أذهاننا بمجرد ذكر كلمة الأنفال والغنائم أنها المكسب المادي الملحوظ الذي ينتج عن المعارك فإن المعنى الحقيقي يذهب إلى أفاق أخرى أكثر اتساعاً مع من هذا المعنى البسيط المحدود وإن كان يشمله ، فالغنائم قد تكون مادية كمال أو سلاح أو عتاد أو ما شابه وقد تكون سياسية كاتفاق أو ظهور أو حكم أو سلطة أو معنوية كقدرة أو قوة وبالتالي أرى أنها كل مكتسب مادي أو معنوي مؤثر ناتج عن معركة أو حرب أو صراع وشاهدنا في هذا أن الله سبحانه وتعالى يقول في صلح الحديبية : **وَعَدْكُمُ اللَّهُ مَعَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَأَ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلَتَكُونَ آتِيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَتَهْدِيْكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (20) وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحْاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (21)** - سورة الفتح.

فالقرآن يعتبر اتفاق صلح الحديبية مغناًمة وغنية - كما قال ابن عباس وابن كثير رضي الله عنهم - وهو اتفاق سياسي وعسكري ... ولذا فقد يكون الجانب الغائب من الغنائم والأنفال أكبر من الجانب المشاهد الحاضر في أذهاننا إذ لا يمكن المقارنة بين أن تغنم رشاشاً أو ذخيرة وبين أن تغنم سلطة في منطقة أو جزءاً من سلطة عامة فالثانية أهم وأكبر.. وإذا ما عدنا إلى بدء أحكام الأنفال وبعد الانتصار الكبير في بدر تدخل الهزيمة الأولى في تاريخ المسلمين ومن بوابات ثلاثة : معصية رسول الله أولاً والأنفال ثانياً.. والتنازع ثالثاً وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى: (وَلَقَدْ صَدَقْكُمُ اللَّهُ وَعْدُهُ إِذْ تَحْسُنُوهُمْ بِإِنَّهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشَلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيْكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (آل عمران: 152) ، { إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَّقَىِ الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَرَلَهُمُ الشَّيْطَانُ بِعَضِّ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ } - ولو تأملت هذه الثلاث التي ذكرتها الآية لوجدت أنها مرتبطة ببعضها ارتباطاً وثيقاً لا ينفك فالتنازع سبيل إلى الفشل ومعصية الرسول أكبر الفشل والتنازع بين الفئة المؤمنة المجاهدة بين " مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا " و" مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ " لا يدخل إليه إلا من باب وجود ما يتنازع عليه وهو الغنائم والأنفال في هذه الحالة!

دعونا نأخذ مزيداً من الوقت في التوقف عند معركة أحد فالنبي صلى الله عليه وسلم أمر الصحابة رضوان الله عليهم أن لا ييرحوا أماكنهم ، وعندما لاحت بشائر النصر وبدأت ساعة حسم المعركة بعد أن "تحسونهم بإذنه" و "أراكُمْ مَا تُحِبُّونَ" يدخل عامل جديد يقود إلى الهزيمة ، فلقد بدأ وقت "الغنائم" ! المسلمين هاهنا صحابة رسول الله الذين اختارهم الله لصحبة نبيه المتنزل على رسول الله الوحي بينهم .. الذين لو أنفق أحد منا في هذا العصر مثل جبل أحد نهباً ما بلغ مُد أحدهم ولا نصيفه ومع ذلك يحدث "الاختبار الأصعب" فكيف بنا ونحن في ثورة شعب لا ثورة ملائكة معصومين وفينا العالم والجاهل والصالح والطالح إلى آخر ما يكون في الشعوب ؟!

في موضع آخر يقول الله سبحانه وتعالى عن هذه الهزيمة **إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَّقَىِ الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَرَلَهُمُ الشَّيْطَانُ بِعَضِّ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٥٥)** - سورة آل عمران -

يخبر تعالى عن حال الذين انهزموا يوم "أحد" وما الذي أوجب لهم الفرار، فقد تمكن الشيطان من جرهم للزلل والخطأ، لكن

تمكن الشيطان من فعله هذا مرهون بـ " بعض ما كسبوا" وهنا يقف المرء مع استشهاد لطيف يسوقه الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمة الله في تفسير هذه الآية فيقول: وعندما نقرأ كلمة { أَسْتَرَّهُمْ } نعرف أن (الهمزة والسين والتاء) للطلب، تطلب ما بعدها، مثل: استفهم أي طلب الفهم، استعلم يعني طلب العلم، استقوى يعني طلب القوة، و " أَسْتَرَّ " يعني طلب الزلل، ومعنى " الزلل " هو العثرة والهفوة، أي أن يقع الإنسان في الغلط، إذن فالشيطان طلب أن يزلوا، { بِعْضٍ مَا كَسَبُوا } ، لأن الشيطان لا يجرئ على أن يستزل أحداً من آمن إلا إذا صادف فيه تحللاً من ناحية، لكن الذي ليس عنده تحلل لا يقوى عليه الشيطان، ساعة يأتي الإنسان ويعطي لنفسه شهوة من الشهوات فالشيطان يرقصه ويضع عليه علامة ويقول: هذا ضعيف، هذا نقدر أن نستزله. لكن الذي يراه لا يطاعة نفسه في شيء من التحلل لا يقترب ناحيته أبداً كما قال سبحانه وتعالى " إن عبادي ليس لك عليهم سلطان } أ. ه

وإذن فنحن نتحدث في الغنيمة لا عن مكاسب مادي أو معنوي مؤثر في محيطنا وقدرتنا المادية فحسب بل عن مكاسب مادي أو معنوي مؤثر تكمن خطورته في قدرته على إحداث تغيير في القلب مُخْلِّ بأركان الإخلاص والتجرد في نية العمل لله وهو عmad انتصار المؤمنين في معاركهم فتكون الأنفال بتأثيراتها مدخلاً إلى الهزيمة النفسية المتمثلة في ضعف الإيمان وصواباً إلى الهزيمة العسكرية والسياسية التالية لها قطعاً. ولذا لم يكن غريباً أن يشهد تاريخ الغزوات في عهد النبي صلى الله عليه وسلم محطات معدودة قليلة تلوح فيها الهزيمة وهي دائماً لا تأتي إلا بعد انتصار فالهزيمة في معركة أحد تأتي بعد أن كاد غبار وطيسها ينفعش عن انتصار بل بعد غزوة بدر أولى معارك المسلمين وانتصارهم الأول ومعركة حنين بعد الفتح الأكبر لمكة المكرمة ودخول الناس في دين الله أفواجاً - لم تحدث هزيمة في فتح مكة رغم كثرة وقوه المؤمنين - فتح مكة الذي تم بوعده الله " مغناً " يحبه المؤمنون كما في قوله تعالى " ( وَعَدْكُمُ اللَّهُ مَعَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَ أَيْدِي النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَهَدِيْكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ( 20 ) وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحْاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا - و " { وَأُخْرَى تُحْبِبُونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ }

- في فتح مكة يدخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة كما يروي ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر والحاكم عن أنس على راحلته متعرجاً (متعمماً) بشقة برد حبرة، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع رأسه تواضعاً لله، حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى إن عثونه - لحيته - ليكاد يمس واسطة الرحل، صلى الله عليه وسلم أما في معركة حنين فإن الهزيمة تدخل من باب القلوب المتغيرة فلقد انضم لجيش الفتح ألفاً مقاتل من طلقاء الفتح وحديثي الإيمان وداخل قلوب البعض ما دخلها من اغترار وقوة فكيف يغلبون اليوم من قلة وهذا تحدث الهزيمة مرة أخرى حين تفعل أنفال الفتح وغنامه فعلها في القلوب - يقول الله سبحانه وتعالى { ويوم حنين إذ أجبتكم كثركم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبتم ثم وليت مدبرين \* ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعدب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين } (التوبه:25-26). وإن فحين يضعف اليقين أو يغيب بأننا لا ننصر إلا بالله ومن الله وحين تركن النفوس إلى القوة والكثرة ووفرة السلاح والعتاد يوكل الله المقاتلين إلى أنفسهم فإذاً أن يحدث انتصار ليس فيه لله ولا لدينه شيء أو تحدث هزيمة تعيد إيقاظ من غفل أو نسي.

لقد قلنا إن صلح الحديبية وهو اتفاق يجوز تسميته بلغة ساسة هذا العصر اتفاقاً لوقف إطلاق النار أو هدنة مؤقتة انتصار وغنية وما تلاه كان فتح خبير وهو أيضاً انتصار وغنية ولم تحدث بعدهما هزيمة ناتجة عنهم وإن فالغنية في عين ذاتها وما ينتج عنها ليست علة مرفوضة محذورة لذاتها وإنما يكمن الخطر فيها ويظهر إن غيرت هذه الأنفال معادلة الاعتقاد أننا قوم أعزنا الله بالإسلام فإن ابتعينا العزة في غيره أذلنا الله ومعادلة الانتصار بأننا لا ننتصر بغير هذا الدين وأن نصرنا لا يتأنى إلا من خلال استخدام الله سبحانه وتعالى لنا لنصرته وتأمل معنى قوله سبحانه وتعالى " وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى

بِرُدُوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا [البقرة:217] فهذه الحرب والمؤامرة المستمرة علينا لن تتوقف إلا بتحقيق غاية بريدها الأعداء "إن استطاعوا - وهم في خضم ذلك يرحبون ويودون "لو تذهب فيدھنون" دون أن تحقق المداهنة الظاهرة رضى حقيقاً في نفوسهم حتى " تتبع ملتهم " والوعد والوعيد من الله أن " وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ [النور:55] فوعد النصر الأبدى قائم على ركيزة واحدة وهي الإيمان فمتي اختلت هذه الركيزة أو تداعت أو ضعفت أو غابت انتفى الوعيد واختلطت الخنادق وحدثت الهزيمة وهكذا نقول إن الهزيمة لا تأتي إلا بخلل يحدث في آخر وأشد ساعات المعركة احتداماً كما لا يأتي الليل إلا بغياب الشمس وكما لا يأتي الفجر إلا في آخر وأشد ساعات الليل حلقة ، {إِنَّمَا أَغْيَبَنَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنُكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنُكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ} [فاطر: 5]. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «فَوَاللَّهِ! مَا الْفَغْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكَنَّهُمْ» [13]. فسُنْنَةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ أَنَّهُ إِنْ فُتِحَتِ الدُّنْيَا عَلَى الصَّالِحِينَ؛ فاغتربوا بها وتنافسوا فيها؛ فإنها سُتُّهُوكُمْ لَا مَحَالَةَ كَمَا أَهْلَكَتْ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ؛ {فَلَمَّا تَجَدَ لِسُنْنَةُ اللَّهِ تَبَيِّنًا وَلَكِنْ تَجِدَ لِسُنْنَةَ اللَّهِ تَحْوِيلًا} [فاطر: 43]. علينا أن نفهم أن الهزائم لا تسرق ولا تختطف إذ لا ثمار لها، وإنما تختطف الانتصارات والإنجازات في اللحظات الأخيرة لانبعاث فجرها فتشريع الرقاب وتنسابق الأيدي حين تنضج الثمار ويلوح القطايف !

وأتوقف عند محطة أخرى من تاريخنا الإسلامي الغابر قبل أن أتوقف عند المعاصر منه لأنني أنتقل إلى معركة " بلاط الشهداء " وكانت في الكلمة التي أكرمني الله وشرفني أن ألقاها بين يدي الأحبة في كتيبة من كتائب هذه الثورة المباركة قد استندت إلى إحدى روایتین تاریخیتین ترویان احداث المعركة وتقول الروایة التي سردتها آنذاك إن عبد الرحمن الغافقي قاد جيش المسلمين المؤلف من خمسين ألف مقاتل كأكبر جيش تعرفه الأندلس آنذاك ليواجه جيشاً عمره من النصرانيين والوثنيين ولتنتهي المعركة باستشهاد عبد الرحمن الغافقي وعدد كبير من شهداء المسلمين بعد أن تراجع المسلمين لصد هجوم قوات عدوهم على مخيم خلفي يضم النساء والأطفال والغنائم وهي الروایة التي يؤیدها كل من الدكتور راغب السرجاني والدكتور عبد الحليم عويس !

ولقد نبهني البعض أثابهم الله إلى الروایة الثانية التي تسوق دلائل وشواهد أن هذه الروایة رواية غربية مبتدعة تهدف لتضخيم هزيمة المسلمين في هذه المعركة والأهم ترویج أن غاية هذه الفتوحات لم يكن إلا السعي وراء الغنائم والمكاسب لاسيما وأن معظم المخطوطات العربية والإسلامية التي تتحدث عن تفاصيل المعركة أحرقت على يد الغربيين ولم يعد من مصادر إلا روایات غربية وأوروبية !

ولقد عدت للروایتین وأمعنت فيهما قراءة فتيقنت كما ساق الأستاذ الدكتور عبد الرحمن علي الحجي - أستاذ التاريخ الإسلامي في كلية الآداب في جامعة بغداد في كتابه "التاريخ الأندلسي" من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة " أن "قصة الغنائم - بالحجم الذي رویت فيه - أسطورة لا أصل لها " ص 197 وزاد في يقيني تصريح منافق سوريا المسمى شيخاً وفتياً أحمد حسون عندما صافح رئيسة وزراء ألمانيا ميركل قائلاً إن هدف الفتوحات الإسلامية في أوروبا لم يكن دائماً نشر الإسلام وإنما حب السيطرة والامتلاك " !

المصادر: